الفصل الرابع

عودة إلى الملائكة

تبدأ قصة آدم كما يقصها القرآن فى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٣٦) فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: ٣٠ - ٣٩]

بتأكيد يثير الدهشة: لقد خلق الله الإنسان ووضعه فى الأرض؛ ليعمل بوصفه خليفة عنه (ممثلاً له). وبدلاً من أن يبدأ القصة بتقييم سلبى عن الجنس البشرى، يبدأ القرآن بتقييم إيجابى عن القوى البشرية الكامنة بشكل يصعب على التصديق. وعندما وضع الملائكة هذا الاختيار موضع التساؤل بشكل طبيعى، وذلك على أساس أنهم هم الذين يستحقونه بكل وضوح، حيث إن البشر هم مفسدون وعصاة وعدوانيون، بينما لا يرتكب الملائكة المعاصى وهم خاضعون بالكلية لله، فقد أوضح القرآن أن الله أجاب على ذلك مما يعنى بأنه يعلم بالضبط ما يفعل. وبذلك فلم يرفض النص المقدس تساؤل الملائكة عند هذه النقطة، حيث إن التساؤل الذى

أثاروه هو من الأهمية والصعوبة فى غاية. يبدأ القرآن فى الآيات التسع التالية لذلك فى بناء إجابة، تبدو أنها توفر عدة أدلة هامة، أو تضع بعض القطع فى مكانها داخل اللغز المحير.

النقطة الأولى التى يوضحها القرآن، ومن المثير للإعجاب أنه يبدأ بهذه النقطة، وهى أن الإنسان مخلوق على الذكاء، وأن هذا الأمر يبرز بشكل جلى من خلال الهدف الكامن وراء خلقه. يشير القرآن عقب ذلك إلى أن الرجال والنساء هما كائنان أخلاقيان، مخلوقان ذوا ضمير، يملكان حسًا عميقًا بالصواب وبالخطأ. وهما معرضان لمحرضات الخير والشر ويتوجب عليهما الاختيار. بذلك فقد اختص الله البشر بالوعى بالصواب والخطأ الأخلاقيين، وترك لهم حرية الفعل بناء على قراراتهم الأخلاقية. كما أظهر أيضًا أن البشر يملكون القدرة على إدراك إخطائهم وعلى تزكية وتهذيب أنفسهم. وهناك نقطة هامة أخرى يبدو أن القصة تبرزها وهى أن البشر سوف يتعرضون للمعاناة فى حياتهم على الأرض؛ لذلك قالت الملائكة بحق إن الإنسان سوف ﴿يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾، ويقول الله للناس ﴿اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾. رغم ذلك، فمن الجلى فى هذه النسخة من القصة الخاصة بأول رجل وأول امرأة بأن الحياة على الأرض، وأن المشقة التى يعانيها الناس فيها، لا تستهدف معاقبة الجنس البشرى، حيث تشكل المعاناة المستمرة فى مجملها جزءًا من الخطة الإلهية. كما تشدد القصة أيضًا على دور الهداية والمغفرة الربانية فى حياة البشر، وعلى العواقب الوخيمة المترتبة على رفضهم.

إننى أعلم بأننى قد أكون أسرفت فى قراءتى فى محتوى القصة، وأن بعض الموضوعات الرئيسية التى اعتقدت أنها قدمتها فى ردها على الملائكة ليست إلا سرابًا من صنع أفكارى. قد أكون تركت العنان لأكثر خيالاتى جموحًا. وربما أسقطت تناقضات طفولتى على الرواية. لكن لم يمض طويلاً قبل عثورى على تأكيدات لافتراضاتى. ذلك وبينما أشق طريقى من خلال القرآن، وجدت أنه يؤكد حقيقة على أن العقل والضمير والاختيار أو الإرادة، والخطأ، والتوبة، والمعاناة، والهداية الربانية، والمغفرة، كل ذلك يلعب دورًا جوهريًا فى التطور أو الرقى الإنسانى على الأرض. بالرغم من ذلك، لم أقدر على رؤية الكيفية التى يتراكب

بها كل ذلك مع بعضه البعض بغرض الوصول إلى هدف مطلق لا يمكن الوصول إليه بشكل أكثر كفاءة إذا لم يكن هناك وجود لله بحق.

أفلا يعقلون؟

«إن الله رءوف محب يا بنى».

«إذا كان الله رءوفًا ومحبًا، إذن فلماذا يسمح بهذا القدر الهائل من المعاناة والعنف على الأرض؟».

دارت تلك المحادثة بينى وبين أمى مرات عديدة من قبل، وبدا أننا تناولناها بتكرار أكبر فى ذلك الوقت، حيث قد أعلنت إلحادى أمام أسرتى.

«هناك بعض الأشياء التى لا نقدر على فهمها ببساطة من خلال عقولنا المحدودة».

«إننى أعرف، لقد سمعت ذلك آلاف المرات» أجبتها بصوت يملؤه السخط، «فى كل مرة يثار فيها اعتراض صحيح وعقلانى ضد الإيمان بالله، يقال لنا بأن فهمنا قاصر للغاية عن أن يعى الحكمة الخافية وراء أفعاله، وما يثير حنقى فى الحقيقة هو أن الناس يذهبون كل مذهب من أجل العثور على جميع أنواع المجادلات العقلانية ضد وجود الله، ويكون الرد الوحيد على الإطلاق الذى يحصلون عليه، هو أن عقولهم محدودة للغاية فى القدرة على الفهم، وبعدها فإنهم يتعللون بذلك بوصفه جدلاً مضادًا! هل تظنون أن ذلك قد يودى بهم إلى هاوية الشكوك الحقيقية!».

«كل إنسان امتلكته الشكوك فى وقت من الأوقات خلال حياته. حدث الأمر لى عندما كنت فى عمرك».

«إذن لماذا لا تزال على إيمانك؟ إذا تملكتنا الشكوك بخصوص قائد لطائرة، فلن نركب هذه الطائرة. إذا ساورتنا الشكوك تجاه منتج ما فى المتجر فلن نشتريه. إذا حامت الشكوك حول أمانة أحد السياسيين فلن نعطيه صوتنا. لكن عندما يتعلق الأمر بالدين الذى يتملكنا الكثير والكثير جدًا من الأسباب المؤدية للتشكك فيه، فمع ذلك يؤمن الناس به على أية حال! هل يغسلون أدمغتهم من خلال الإيمان، أم

أنهم يحمون أنفسهم من الخسارة عن طريق المراهنة ضد العذاب الأبدى عن طريق إخضاع أنفسهم بغير تبصر إلى شيء لا يحمل أى معنى؟».

«الإيمان هو من عطايا الله يا «چيف». بمجرد أن تشعر به فلن تساورك الشكوك مرة أخرى».

«إذن فلماذا لا يعطى هذه العطية إلى كل شخص؟ لماذا لا يهبها إياى؟».

«عليك أن تحاول أن تتحلى بالإيمان يا بنى».

«أنا لا أعرف فحسب. يشبه الأمر كما لو أنك تقولين إن من أجل اختفاء الشكوك، فإنه يتوجب علىّ أن أتغاضى عن ميولى الطبيعية، وأن أكره نفسى على الإيمان. أليس ذلك هو مجرد حث ذاتى لغسيل للمخ؟».

«لا تقلق يا چيف» قالتها أمى مؤكدة لى «سوف تجد الله يومًا ما».

فأجبتها ضاحكًا «ما الذى يجعلك متأكدة هكذا؟».

فأجابتنى بابتسامة واثقة «بسبب ما تعودت جدتى على إخبارى به. سوف تنمو الشجرة مهما كان الفرع معوجًا».

عندما اعترضت الملائكة على إعلان خلق الجنس البشرى، كان أول شيء أشار إليه الله من أجل بيان سطحية دعواهم هو إشارته إلى الذكاء الإنسانى. ومن ناحية الجوهر يؤكد القرآن على أن هذه السمة الإنسانية تحظى من قبل الله باحترام يزيد عن ما للملائكة من عدم قدرة على ارتكاب المعاصى[1]. يوضح القرآن من البداية المبكرة أن الله لا يتوقع ولا يرغب فى أن يكون الرجال والنساء ملائكة، وأنهم يملكون القدرة على أن يرتقوا إلى شيء أعظم على الرغم من كل أخطائهم وتعقيداتهم وتناقضاتهم، وأن الذكاء الإنسانى يلعب إلى حد ما دورًا رئيسيًا فى هذا الصدد. لقد أخذنى الدور الرئيسى المخصص للعقل فى السعى الروحى للإنسان على حين غرة. لقد اعتدت على الدوام على الإيمان بأن العقل نقيض يهبط بالإيمان

(١) يوضح القرآن فيما بعد، أن إبليس الذى رفض السجود لآدم فى الآية [٣٤ من سورة البقرة]، والذى تسبب لآدم وحواء فى «أزلهما» [البقرة: ٣٦]، لم يكن من الملائكة، ولكن كان من الجن وهى كائنات غيبية واعية.

على الإطلاق، لكن هذا القرآن يبدو أنه يقول بأن الإيمان تهبط قيمته عند إهمال العقل أو عند سوء استخدامه.

إن العقلانية مع نبرة القرآن التى هى فى الغالب تعليمية، وهى واحدة من أبرز سمات القرآن، كما أن واحداً من موضوعاته الرئيسية والأصولية هو أن الناس تتجاهل أو ترفض آيات الله، كما أنهم يفسدون الدين بسبب عدم استخدامهم لعقولهم، كما يشكو القرآن من الذين يهجرونه ﴿فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ و﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ﴾(١). ويوجه القرآن السؤال إليهم: ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾(٢). ويكشف الله عن آياته وعبره وعظاته من أجل ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(٣).

العقل والإيمان حليفان من وجهة نظر القرآن، مثلما هو تحالف الإيمان الزائف مع عدم المنطق، وهو يقرر ذلك التناقض بوضوح من خلال هذه الآية ﴿قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾(٤). وأن الذين ينتفعون الانتفاع الأكبر من القرآن هم ﴿أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾(٥)، ﴿الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾(٦)، ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(٧) وذوى التوجه تجاه ﴿جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾(٨). فى حين أن المنكرين للوحى هم ﴿من المغرورين﴾(٩)

---

(١) [البقرة: ١٧١] [المائدة: ٥٨] [الأنفال: ٢٢] [العنكبوت: ٦٣] [الزمر: ٤٣] [الحجرات: ٤] [الحشر: ١٤].

(٢) [البقرة: ٤٤ - ٧٦] [آل عمران: ٦٥] [الأنعام: ٣٢] [الأعراف: ١٦٩] [يونس: ١٦] [هود: ٥١] [يوسف: ١٠٩] [الأنبياء: ٦٧] [المؤمنون: ٨٠] [القصص: ٦٠] [يس: ٦٢] [الصافات: ١٣٨]

(٣) [البقرة: ٧٣ -٢٤٢] [الأنعام: ١٥١] [يوسف: ٢] [النور: ٦١] [غافر: ٦٧] [الزخرف: ٣] [الحديد: ١٧].

(٤) [البقرة: ٢٥٦] [الأعراف: ١٤٦ - ٢٠٢].

(٥) [البقرة: ١٧٩ ١٩٧ -٢٦٩] [آل عمران: ٧ -١٩٠] [المائدة: ١٠٠] [يوسف: ١١١] [الرعد: ١٩] [إبراهيم: ٥٢] [ص: ٢٩ - ٤٣] [الزمر: ٩ - ١٨ -٢١] [غافر: ٥٤] [الطلاق: ١٠].

(٦) [النساء: ١٦٢] [الحج: ٥٤] [القصص: ٨٠] [العنكبوت: ٤٩] [الروم: ٥٦] [سبأ: ٦] [محمد: ١٦] [المجادلة: ١١].

(٧) [البقرة: ١٦٤] [الرعد: ٤] [النحل: ٦٧] [العنكبوت: ٣٥] [الروم: ٢٤ -٢٨] [الجاثية: ٥].

(٨) [الأنعام: ١٠٤] [الأعراف: ٢٠٣] [الإسراء: ١٠٢] [القصص: ٤٣] [الجاثية: ٢٠].

(٩) [آل عمران: ٢٤] [الأنعام: ٥٩ - ٧٤] [الأعراف: ٦٠] [الأنفال: ٤٩] [الجاثية: ٣٥] [الحديد: ١٤] [الملك: ٢٠] [الانفطار: ٦].

﴿ في ضلال مبين ﴾[1]، من ﴿ الجاهلين ﴾[2]، و﴿ السفهاء ﴾[3]، ﴿ لا يفقهون ﴾[4]، ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٦][5]، «ويقلدون بشكل أعمى»[6].

ويكرر القرآن بأسلوب يشابهه الأسلوب السقراطي اختبار القارئ ويدعوه إلى وضع افتراضاته تحت مجهر السؤال. ويسأله المرة تلو الأخرى ﴿ أرأيت؟... قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ؟.. ﴾[7]، ﴿ أفرأيتم.. ﴾[8]، ﴿ أم حسبتم.. ﴾[9]، ﴿ أفلا يتدبرون.. ﴾[10]، ﴿ أحسب الناس... أم حسب الذين... ﴾[11]. هذه الرسائل من الوضوح بما يكفي للحصول على الإيمان الصادق، وكل ما نحتاجه هو تحرير ذواتنا من الأفكار الموروثة وأن نعرض معتقداتنا على العقل.

ويلعب التعلم دوراً محوريّا في النمو الروحي للإنسان. ويحث القرآن قارئه عن طريق إتيانه بفعل الأمر ﴿ اقْرَأْ ﴾، حيث إن الله هو ﴿ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ وبالقلم

(١) [آل عمران: ١٦٤][الأنعام: ٧٤] [إبراهيم: ٣][مريم: ٣٨][الأنبياء: ٥٤][الشعراء: ٩٧] [القصص: ٨٥][لقمان: ١١][الأحزاب: ٣٦][سبأ: ٢٤][يس: ٢٤ - ٤٧][الزمر: ٢٢] [الأحقاف: ٣٢][الجمعة: ٢][الملك: ٢٩].

(٢) [البقرة: ٦٧][الأنعام: ٣٥][الأعراف: ١٩٩][هود: ٤٦][يوسف: ٣٣][القصص: ٥٥].

(٣) [البقرة: ١٣-١٣٠][الجن: ٤].

(٤) [الأعراف: ١٧٩][الأنفال: ٦٥][التوبة: ٨٧ -١٢٧][الحشر: ١٣][المنافقون: ٣ - ٧].

(٥) [النساء: ١٥٧][الأنعام: ١١٦ - ١٤٨][يونس: ١٣٦][الزخرف: ٢٠][النجم: ٢٣ -٢٨].

(٦) [البقرة: ١٧٠][المائدة: ١٠٤][الأنعام: ١٤٨][الأعراف: ٢٨ -٧٠ - ١٧٣][يونس: ٧٨] [هود: ٦٢ - ٨٧ - ١٠٩][إبراهيم: ١٠][النحل: ٣٥][الأنبياء: ٥٣ - ٥٤][المؤمنون: ٢٤] [الشعراء: ٧٤][القصص: ٣٦][لقمان: ٢١][سبأ: ٤٣][الصافات: ٦٩ - ٧٠][الزخرف: ٢٢ - ٢٤].

(٧) [الأنعام: ٤٠-٤٦- ٤٧][هود: ٢٨ - ٦٣ - ٨٨][الإسراء: ٦٢][الكهف: ٦٣][الشعراء: ٢٠٥] [القصص: ٧١-٧٢][الزمر: ٣٨][فصلت: ٥٢][الملك: ٢٨-٣٠][العلق: ٩ - ١١ - ١٣].

(٨) [يونس: ٥٠ -٥٩][الشعراء: ٧٥][فاطر: ٤٠][الجاثية: ٢٣][الأحقاف: ٤ -١٠][النجم: ١٩] [الرحمن: ٣٣][الواقعة: ٥٨ - ٦٣ -٧١][الماعون: ١].

(٩) [البقرة: ٢١٤][آل عمران: ١٤٢][التوبة: ١٦][المؤمنون: ١١٥].

(١٠) [النساء: ٨٢][محمد: ٢٤].

(١١) [الكهف: ٩ -١٠٢][المؤمنون: ٥٥ - ١١٥][الفرقان: ٤٤][العنكبوت: ٢ - ٤][الزخرف: ٨٠][الجاثية: ٢١][محمد: ٢٩][القيامة: ٣ - ٣٦][البلد: ٥ - ٧].

﴿عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٤ - ٥]. هناك «آيات» و«عظات» فى الحياة والطبيعة والتاريخ وفى القرآن تنفع الحكيم[١]. وقد نص القرآن فى ما يزيد عن مائة مرة بأنه قد أوحى به من أجل «أن يبين للناس». ويعلّم الله الناس مباشرة وبغير مباشرة، وبطريقة فى غاية اللطف والخفاء تجعلنا لا نشعر بتعليمه [العلق: ٤ - ٥][٢]. لذلك فإن اختباراته لنا هى الأخرى تأتى بأساليب متنوعة[٣].

وحيث عُرضت الحياة على الأرض بوصفها مرحلة تعليمية داخل خلق الإنسان، فليس مما يثير الدهشة أن يكون يوم الحساب كما يصوره القرآن يتلون بأسلوب قريب للغاية من الشكل الأكاديمى. إنه يشبه يوم نهاية فترة تعليمية أو يوم التخرج داخل حرم الجامعة.

سوف يتوزع الناس على أصناف ثلاثة ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلاَّ قِيلاً سَلامًا سَلامًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ

---

(١) [البقرة: ١٧٩ - ١٩٧ - ٢٦٩] [آل عمران: ٧ - ١٣ - ١٩٠] [المائدة: ١٠٠] [يوسف: ١١١] [الرعد: ١٩] [إبراهيم: ٥٢] [النحل: ٦٦] [المؤمنون: ٢١] [النور: ٤٤] [ص: ٢٩ - ٤٣] [الزمر: ٩ - ١٨ - ٢١] [غافر: ٥٤] [الطلاق: ١٠] [النازعات: ٢٦].

(٢) [البقرة: ٣١ - ١٢٩ - ١٥١ - ٢٣٩ - ٢٥١ - ٢٨٢] [آل عمران: ١٦٤] [النساء: ١١٣] [المائدة: ١١٣] [يوسف: ٣٧] [الكهف: ٦٥] [الأنبياء: ٨٠] [النجم: ٥] [الرحمن: ٢ - ٤] [الجمعة: ٢] [العلق: ٤، ٥].

(٣) [البقرة: ١٥٥ - ٢٤٩] [آل عمران: ١٥٢ - ١٥٤ - ١٨٦] [المائدة: ٤٨ - ٩٤] [الأنعام: ١٦٥] [الأعراف: ١٤١ - ١٦٣ - ١٦٨] [هود: ٧] [إبراهيم: ٦] [النحل: ٩٢] [الكهف: ٧] [الأنبياء: ٣٥] [النمل: ٤٠] [الأحزاب: ١١] [الصافات: ١٠٦] [الدخان: ٣٣] [محمد: ٣١] [الملك: ٢] [القلم: ١٧] [الإنسان: ٢] [الفجر: ١٦].

مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ آبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الواقعة: ٧ - ٥٦].

الأشد إيمانًا هم هؤلاء الذين تفوقوا فى الخضوع لله وهم الذين سيتمتعون بالقرب منه، أما أصحاب اليمين فهم الذين فعلوا ما يكفى من الخير فى الحياة الدنيا لكى يدخلوا الجنة، لكنهم لم يصلوا مرتبة امتياز المقربين، أما أصحاب الشمال فهم الذين لم يفلحوا فى الحياة وسيواجهون العذاب فى الحياة القادمة. وسوف يعلن سجل جميع الأعمال سواء الحقيرة منها أو العظيمة، ولن يغادر هذا السجل شيئًا إلا أحصاه. سوف يكابد الخطاة فى تلك اللحظة الخوف الهائل، حيث يعرفون ما ينتظرهم ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، وسوف تعلو المذلة والمعاناة والتعب الشديد وجوه العصاة، بينما تعلو وجوه الطائعين تعبيرات السعادة والحبور ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴿٥﴾ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لا تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية: ١ - ١٦].

سوف يتلقى الطائعون كتبهم بأيمانهم وسوف يرفعونها فى فخر ليراها الآخرون، بينما يتلقى العصاة الذين اكتنفهم الحزن والخجل كتبهم بشمائلهم أو سوف يخفونها وراء ظهورهم ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ [الحاقة: ١٩ - ٣٠]، ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ [الفجر: ١٠]. عندما يتلقى الطائعون كتبهم فى أيمانهم، فسوف يهرعون بكل همة لإظهار كتبهم لأهلهم، لكن الظالمين ستجتاحهم نوبات البكاء البائس ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ﴾ [الفجر: ٧ - ١١].

يستخدم القرآن وسائل أخرى من أجل تشجيع الاقتراب العقلانى من الإيمان. هناك محور أساسى شائع فى القصص القرآنى وهو السجالات العلنية العظيمة بين نبى أو أحد المؤمنين وبين خصومهما ومعارضيهما، بحيث يحوز الأولان اليد العليا على الدوام فى النقاش المنطقى. تحتوى قصة «إبراهيم» - عليه السلام - العديد من هذه المواجهات[1]. عندما أخبر «إبراهيم» أحد الطغاة بأن الله «إله إبراهيم» هو الذى يحيى ويميت، كانت إجابة الطاغية بأنه هو أيضًا يحيى ويميت. عندها ضيق «إبراهيم» عليه الخناق قائلاً إن الله يأتى بالشمس من المشرق ثم سأل الطاغية أن يأتى بالشمس من المغرب ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. وبأسلوب مشابه عندما اتهم زعماء قوم إبراهيم بأنه هو الذى حطم أصنامهم - وكان إبراهيم قد قام بذلك بالفعل - وسألوه أن يكشف عن من فعل

(١) [الأنعام: ٧٤] [مريم: ٤١ - ٥٠] [الأنبياء: ٥١ - ٧١] [الشعراء: ٧٠ - ٨٢] [العنكبوت: ١٦ - ٢٥] [الصافات: ٨٣ - ٩٨].

ذلك، أشار إبراهيم إلى صنم وحيد كان قد تركه قائمًا، عندها تبين لهم فى الحال الاعوجاج والتناقض المنطقيان اللذان يتسم بهما موقفهم؛ ذلك لأنهم لو أقروا بأن جواب «إبراهيم» يثير السخرية فسينطبق الإقرار ذاته على عبادتهم لآلهتهم المزعومة ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٥٤) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (٥٥) قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٥٦) وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (٥٧) فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٥٨) قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٥٩) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (٦٠) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (٦١) قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ (٦٣) فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ (٦٥) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٧) قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (٧٠) وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٥١ - ٧١].

يستخدم القرآن فى أحوال كثيرة الروايات الرمزية والمثيرة للتناقض من أجل إظهار الأخطاء العامة والمشتركة التى تكتنف تفكيرنا. وهو يورد هنا مدى زيف النتائج والخلاصات التى تقوم على أساس من الدليل الظرفى:

﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

وهكذا فقد يبدى المفكر غير المدقق إصرارًا على أنه لا بد لكلب يلهث وقد أخرج لسانه بعد أن يكون قد حمّل عليه، حيث إن الكلاب تفعل ذلك فى مثل هذا

الموقف، غير واضع فى اعتباره حقيقة أن الكلاب يفعلون الأمر ذاته حتى عندما تترك لحالها.

ويبين القرآن فى سورة الكهف كيف يتجادل الناس فى العادة حول التفاصيل غير ذات الأهمية:

﴿ سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٢٢].

وفى قصة موسى مع الخضر ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ..... وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف: ٦٠ - ٨٢] وهى قصة رمزية تتعلق بالمعاناة الإنسانية، يظهر النص المقدس أن موسى - مثلما يفعل الكثير منا - دائمًا ما يقفز إلى استنتاجات خاطئة تتأسس على أدلة غير كافية.

ولعل أكثر ما يوهم بالتناقض هى الآية القرآنية التالية، وهى تتحدث عن مصادر الشر:

﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ [النساء: ٧٨ - ٨٩].

يبدو أن النقطة تتركز فى أن جميع الأشياء على الإطلاق هى من عند الله، حتى قدرة البشر على فعل وممارسة الشر. مع ذلك، فبينما وهبنا الله القدرة على الاختيار وعلى فعل الشر، فإن هذا الاختيار هو فى النهاية من صنعنا. عندما نختار فعل العمل الصالح فنحن نحوز المنافع التى تأتى معه بمقاييس الرقى الذاتى الذى يحدث لنا، وكل ذلك هو من عند الله ونتيجة التقدير الذى خلق الشخصية الإنسانية به، أما حين نختار فنحن نحرم أنفسنا من العطايا الشخصية التى كنا سنحصل عليها، وفى الحقيقة فإننا نسبب لأنفسنا الأذى، وبذلك يأتى الشر الحقيقى الذى نعمل به - أى التدمير الذاتى الذى نوقعه بأنفسنا - على أيدينا نحن.

المظهر الآخر للقرآن والذى يشير إلى سمته العقلية هو فى أنه يتضمن المجادلات الشائعة التى تستخدم ضده كما يتضمن الرد بالحجة عليها. وينبغى الإشارة إلى أن هذه المجادلات عينها لا تزال رائجة فى يومنا هذا داخل العديد من الدوائر. الادعاء بأن القرآن هو من اختراع شخص ممسوس أو مجنون ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٤]، ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ [القلم: ٥ - ٦]، ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير: ٢٢]، أو أن القرآن هو مجرد افتراء أو احتيال ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ٣٧]، ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود: ١٣]، يقابله القرآن بالرفض عن طريق الإشارة إلى عمقه واتساقه وبلاغته التى لا نظير لها.

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣].

﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۝٣٧ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: ٣٧ - ٣٨].

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود: ١٣].

﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

كما يدفع القرآن - بدليل بلاغته العظمى فى اللغة العربية - التهمة القائلة بأن غير عربى من المسيحيين أو اليهود قد لقن الرسول هذا النص القدسى ﴿ **وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ** ﴾ [النحل : ١٠٣]. أما فى وجه الادعاء بأن محمدًا غير أمين وبأنه يبحث عن مجد شخصى، يشدد القرآن على التمجيد والتقديس لله وحده، كما لا يسعى وراء تعويض مادى أرضى يذهب إلى النبى[١]. بل على النقيض فإن القرآن يؤكد على الحقائق الأخلاقية والروحية الجوهرية لكتب الوحى السابقة عليه، وذلك على وجه الخصوص حتى لا يلقى اليهود والمسيحيون بالاتهام فى وجه القرآن فى هذا الصدد بدون أن يكون الاتهام شاملاً كتبهم المقدسة.

(١) [الفرقان : ٥٧] [سبأ : ٤٧] [ص : ٨٦] [الشورى : ٢٣].